ورحل شيخ الفقراء والمساكين

سماحة العلامة الشيخ حسن آل أبي خمسين

محمد علي الحرز

نعم إنه سماحة العلامة الشيخ حسن نجل العلامة الشيخ باقر آل أبي خمسين شيخ الفقراء والمساكين، بل حبيبهم الذي كان يتتبع شؤونهم ويرأف على أطفالهم، بكل تواضع وحنان؛ بوجهه الباسم، وقلبه الدافئ، ويده الحانية.

في الوقت الذي كان يحمل فيه هُموم مجتمعه الكُبرى، وقضاياه المفصلية حتى أصبح أحد أهم ركائزه، والمتصدين لإصلاح وبناء المجتمع، ومن عِلْيَة القوم الذي يُرجع إليه إذا احتدمت الأمور، وبلغت النفوس التراقِ، ليكون فارسها اللامع، وابن بجدتها المقدام القادر على إنجاز الصعاب، وخوض الغمرات بقلبٍ جسور ونفسٍ أبيه لا يهاب إلا الله وحده.

ورغم كل ذلك كان يفضل حياة الظِّل وفي جنباتها عاش حياته الحافلة بالعطاء والتضحيات، بعيداً عن الأضواء، لا ينافس أحداً على البروز أو الظهور، وإنما نظرته دائماً نحو الغايات والأهداف وتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى.

ومما يؤسف له أننا لا نعرف مقام ومكانة رموزنا اللامعة ودورهم الكبير إلا بعد رحيلهم وفراقهم لنعضَّ أصابع الندم والحسرة لفقدهم، ولكن هيهات يدُ المنون لا ترجع أحداً أخذته، وتبقى ذكراه خالدة في النفوس تعطرها سيرته ومواقفه الحسنة .

وخلال السطور القادمة سنحاول إن نبين جوانب وأبعاد من شخصية العلامة الشيخ حسن آل أبي خمسين في محاولة سبر أغوار هذه الشخصية اللامعة، التي وللأسف لا يعرف حقيقتها الكثير من الناس أو يعرف بعض جوانبها العديدة:

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

-بِره بوالديه:

أحد أهم مفاتيح النجاح واكتساب التوفيق رضا الوالدين وبرهما، مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام:«بر الوالدين من حسن معرفة العبد بالله إذ لا عبادة أسرع بلوغا بصاحبها إلى رضى الله من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله تعالى لان حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنة»[1].

والشيخ حسن، كان من أشد الناس حرصاً على رضا والديه، ففي حياة والده العلامة القاضي الشيخ باقر، كان اليد اليمنى له، وساعده الذي يتكئ عليه في إنجاز المهمات، وقد كان ملازماً ووفياً له حتى آخر حياته.

وكذلك والدته رحمها الله عاش قريباً منها محافظاً على رضاها، فكان ذلك أحد أهم عوامل التوفيق التي انعكست على شخصيته.

وحتى بعد وفاة والده المقدس عمل على حفظ تراث والده وطباعة عدد من مصنفاته فكنت ممن كلفهم بتحقيق ديوان (نغماتي)، فكان ثمرة ذلك كتاب(الشيخ باقر أبو خمسين علمٌ وعطاء وأدب)، الذي قام بطباعته وتوزيعه مجاناً، كما طبع (الكشكول) و(لماذا نقدس القرآن) بتحقيق الباحث الأستاذ إبراهيم سلمان بوخمسين، و(تقريرات الأصول لبحث السيد محمد باقر الشخص) التي بقلم والده، وذلك سعياً لتخليد ذكرى والده المقدس وحفظ تراثه من الضياع.

كما عمل على تحقيق كتاب(النص الجلي في إثبات إمامة الإمام علي عليه السلام)، لجده المقدس آية الله الشيخ موسى آل أبي خمسين(ت١٣٥٣هـ)، فكان يحمل هم حفظ تراث الأسرة ونشره.

[1] بحار الأنوار:٧٠/٧٧.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

- خدمة المجتمع:

تميزت حياة الشيخ حسن بالكثير من العطاء الاجتماعي وتلمّس حاجات المجتمع والمحيط من حوله، سواء كانت تلك الحاجات المالية الملحة والتي تزكيها صعوبات الحياة ومشقتها، أو المشاكل الأسرية والتي تتطلب حكمة وحنكة في حلها وعلاجها.

ومن أجل هذه وتلك جعل مجلسه اليومي مركزاً يفد إليه أصحاب الحوائج في كل ليلة بعد صلاة المغرب، وصباح كل جمعه، يستقبل فيه الناس ويستمع إليهم برحابة صدر وروح أبويه.

- التواضع الكبير:

قد لبس سماحة العلامة الشيخ حسن آل أبي خمسين من التواضع جلباباً ومنهجاً وطريقاً في الحياة فقد عاش حياته كاملة بين الفقراء والمحتاجين، فرغم اقتداره المالي ومكنته المادية لم يشيد له منزلاً فارهاً، أو بيتاً محصناً يعزله أو يبعده عن ناسِه ومحبيه، وإنما فضل بيتاً بسيطاً في حيٍ متواضعٍ ليكون متاحاً وسهل المنال، ليشيد بذلك قصراً شاهقاً في قلوب المؤمنين.

ومع ذلك كان يتتبع أخبار الناس أفراحهم وأتراحهم فيفاجؤهم بحضوره وإن لم يقدم له دعوى.

يقول أحد المتأثرين بفقد الشيخ الجليل أنه كان الشيخ يسافر فنعد العدة لزيارته وتحميد السلامة له، ضمن مجموعة من الأقارب والأصدقاء الذين للشيخ أيادي بيضاء عليهم، وقبل أن نذهب نرى الشيخ قد دخل علينا، وقد بادر بزيارتنا وهو يقول: أعلم أنكم ستأتون ولكن أنا واحد وأنتم مجموعة وحضوري أسهل من حضوركم.

وينقل آخر:

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

«زرته في أحد الأيام بمكتبه في دائرة الأوقاف والمواريث لإعادة إصدار صك ولم تكن لي علاقة مباشرة معه.

سلمت عليه وعرفته بنفسي فأجلسني واكرمني وبادرني بالسؤال عن الأهل والأقار وأهل بلدة الجبيل عامة، وبعد إنهاء المعاملة قال لي: يا ولدي صكك جاهز بس باقي الختم عند فضيلة الشيخ محمد اللويم واليوم راح يجي متأخر بعد صلاة الظهر الله يعينك ترجع له بعد الصلاة .

قلت له: رحم الله والديك وإن شاء الله أحضر بعد الصلاة لأجل الختم.

وأثناء خروجي للصلاة من البيت تفاجأت به – رحمه الله– مع سائقه عند باب البيت سلمت عليه وقبلت رأسه وطلبت منه أن يتفضل ولكنه بادر وقال: يا ولدي قلتُ لك ترجع بعد الصلاة، و لكن الشيخ محمد اللويم اليوم معتذر ما راح يداوم وليس عندي جوالك لأجل الاتصال عليك فقلت وأنا في طريقي إلى مسجد (جويخ) أمرك وأعلمك كي لا تروح مشوار على الفاضي».

هكذا يسطر الشيخ سيرته الخالدة بتاريخ حافل من نكران الذات والتواضع الجم الذي تجد مثلها عشرات القصص والحكايات يحكيها أبناء الأحساء عن سيرة الشيخ حسن ومواقفه الكثيرة التي لا تنسى.

– السخاء العجيب:

نتيجة لنظرته العميقة وفهم طبقات المجتمع، ومستوياتهم المادية واحتياجاتهم المختلفة، كان يعطي كُلٍ بقدره، وبحسب دراسته لمقدار حاجته ومكانته الاجتماعية.

ولكي يتجنب إحراج الضيف ولكي يعطي بيمينه مالا تعلمه يساره، خصص كل جيبٍ من (صايته) لكل فئة من الناس بحسب تقديره ودراسته لمقدار الاحتياج، جيب

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

للفقراء والمحتاجين والذين يعلم احتياجهم بشكل يومي، وجيب من يعلم إن حاجتهم ملحة وقد لا يعودون مرة أخرى، وجيب لطلبة العلم، وفي كل ذلك يراعي ماء الوجه وحفظ كرامة الإنسان الذي أمامه فيؤجل عطيته إلى حين رحيله حيث يسلمها إياه خارج المنزل أثناء السلام عليه، وقت التوديع.

مع ملاحظة إن الشيخ يقوم بتلك العطايا دون طلبٍ منهم، وإنما مبادرة من سماحة الشيخ حسن نفسه وإحساسه بالمسؤولية الأبوية نحو مجتمعه، بل ويبادر بالعطية حتى لغير المحتاج فعلاً، فإذا رفض أخذتها، بادره بابتسامته الساحرة، وضحكته الجميلة، وهو يقول: «بركة بركة من الشيخ». ولا يتراجع أبداً.

لذا هو يخجل زائريه بسمو أخلاقه وفيض كرمه، وإذا سافر إلى المراقد المقدسة في النجف الأشرف وقم المقدسة، فإنه يوزع العطايا على جميع الطلبة الأحسائيين ويشمل معهم غيرهم، من العرب والعجم.

أما من كان لهم فضلٌ عليه كأساتذته فهؤلاء يتتبع أحوالهم ويبرهم بعطاياه الجزيلة الندية.

ينقل سماحة الشيخ حسين بن الحاج عبد الهادي آل أبي خمسين بأن العلامة الشيخ حسن سمع بأن أستاذه في اللمعة الدمشقية أو المكاسب المحرمة السيد حسن التنكابني مريض في قم المقدسة، فأرسل له ١٢ ألف ريال من ماله الخاص، دعماً ومساعدة له.

وسلسلة الكرم الحاتمي يطول في حياة العلامة أبا رضا - رحمة الله عليه- ولا يسعها مقال قصير عن حياته وسيرته.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

- الجرأة والإقدام:

امتلك الشيخ شخصية قوية، وجرأة كبيرة، وجسارة في المواجهة في الأمور المتعلقة بالأمور المطلبية، والتي لا يتم إنجازها إلا باللقاء بكبار المسؤولين في الدولة وشرح وتوضيح أبعاد القضية، ليتم تحقيقها عبر القنوات الرسمية في الدولة بعد بيان بعض جوانبها.

فتم عبر شخصيته ومكانته واحترامه لدى كبار الشخصيات في البلاد العديد من الإنجازات التي لا زال أهلها يدينون بالفضل بعد الله للشيخ أبا رضا - رحمه الله- ، علماً إن مثل هذه الأمور تحتاج لباقة في الكلام، وقدرة على الحديث المنظم والممنهج، والتفكير الناضج، وهي من الصفات الرائعة التي تمتع بها شيخنا الحسن الجليل.

وينقل بعض الوجهاء ممن كان الشيخ سبباً في قضاء حاجته، في إشارة لجرأة الشيخ وإقدامه لخدمة أخوانه المؤمنين:

«نتفق عشرة أشخاص -لزيارة أحد المسؤولين-، ويوم الموعد ما يبقى إلا أنا وشيخ حسن».

ومواقف الشيخ حسن في مثل هذه الأمور كثيرة وعديدة، ففي كل قرية له حكاية، وفي كل بلدة له رواية، خلقت له شعبية واسعة، وحب كبير في قلوب الناس.

شخصيته القضائية:

يعد القضاء من المراحل الهامة التاريخية في حياة العلامة الشيخ حسن الجديرة بالدراسة والإشارة لها.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

توليه منصب القضاء:

بدأ الشيخ حسن مهامه القضائية وخبرته بها في حياة والده العلامة الشيخ باقر؛ عندما كان يمثل ساعده الأيمن ونائبه حين غيابه، وقد استمر على ذلك لأكثر من عقدٍ من الزمن مما أكسبه خبر والده والاستفادة من خبرته وحنكته، بل كان هو القاضي الفعلي خلال العقد الأخير من حياة والده بسبب المرض الذي أنهك العلامة الشيخ باقر وأضعف قدرته على إدارة شؤون القضاء، وبعد وفاة والده الشيخ باقر سنة ١٤١٣هـ، عين الشيخ حسن قاضية بعد والده لفترة وجيزة؛ إلا انه تنازل عن ذلك المنصب لصالح آية الله الشيخ محمد بن سلمان الهاجري، الذي مسك القضاء، وكان يعينه عليه نائبه سماحة الشيخ محمد بن عبد النبي اللويمي.

وبعد وفاة العلامة الشيخ الهاجري سنة ١٤٢٥هـ، تم تعيين الشيخ اللويمي قاضيا، والشيخ حسن بن الشيخ باقر نائبا له، واستمر على هذا المنصب نائبا للقضاء إلى سنة ١٤٣٠هـ، حيث تفرغ لأموره الشخصية، والعمل على خدمة الناس، فقد نال الشيخ مكانة اجتماعية مرموقة لما يقدمه لهم من خدمات و تواصل معهم والعمل على قضاء حوائجهم.

سماته القضائية:

أمتلك الشيخ حسن عدد من السمات والصفات القضائية التي أهلته أن يكون أحد أبرز قضاة الأحساء الذين لهم تاريخ حافل بالعطاء والتميز والخبرة والدراية والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية[٢]:

[٢] استفدت في كثير من الأفكار حول أبعاد شخصيته من الشيخين العزيزين سماحة الشيخ حسين أبوخمسين، وسماحة الشيخ أحمد حجي الخليفة.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

١-التمرس في القضاء:

كل تلك السنوات المديدة التي قضاها الشيخ حسن في كنف وجوار والده الشيخ باقر أثناء وجوده على دكة القضاء أكسبته خبرة ودراية واسعة بسبل دراسة المتخاصمين، وفراسة جيدة بقراءة الوجوه، وطريقة استدراج المتخاصمين وتقصي الحقائق بذكاء ودهاء باستخدام عنصر المفاجأة حيناً، والمناقشة والمحاورة حيناً آخر، وغيرها من السبل والأساليب التي توصله لغايته وتحقيق أهدافه.

وكل من لازمه يشهد له بمكنته القضائية، وخبرته الواسعة لذا كان أحد أهم المرشحين لهذا المنصب، وحتى بعد أن تنازل عن المنصب لصالح الشيخ الهاجري عاد الناس ليرشحوه مرة أخرى ليكون ملازماً وشريكاً للشيخ اللويمي.

٢-الدراية بالقوانين القضائية:

بالأمور المهمة التي لا بد لمن يتولى منصب القضاء هي مسألة فهمه ومعرفته بقوانين التشريع القضائي للنظام، ليكون حكمه ورأيه متوافق مع الأسس القانونية للدولة، والشيخ حسن بعد ممارسة دامت سنوات طويلة جعلته ملماً خبيراً بتلك التشريعات والقوانين.

لذا يصادف في بعض القضايا أن يعترض بعض المتخاصمين على حكمه، فيشتكي لدى المحكمة الكبرى راجياً أن ينصروه ضد الشيخ، فيصعق أن الرأي القانوني والشرعي هو الذي تبناه البوخمسين وعليه بقبول الحكم الصادر، وإلا يتحمل عواقب مخالفة القوانين النظامية.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٣- فن الاستماع للطرفين:

من أبرز الأخطاء القضائية التسرع في الحكم، قبل الاستماع لكلا الطرفين وما يمتلكانه من أدلة، ومن ثَمَ دراسة المعطيات، وأخيراً إعطاء الحكم القضائي وفق القواعد القانونية والمعطيات التي قدمها كلا الطرفين بعد دراستها.

والملازمين للشيخ حسن أثناء تعاطيه مع القضاء يشهدون له بقدرته الجيدة على الاستماع لكلا الطرفين رغم وجود عبارات استفزازية لدى البعض منهم، ليتمكن خلال ذلك من دراسة القضية والبتَ بالحكم.

ومثل هذه الأمور تحتاج سعة صدر، وقدرة على السيطرة والتحكم في النفس، وفراسة جيدة، التي هي من أهم سمات الشيخ حسن القضائية.

٤- الاستقلالية في الرأي:

القاضي القدير مهما تأثر بأستاذه واستفاد منه، فإنه بمرور الوقت ومع الممارسة والخبرة تكون له شخصيتها القضائية المبنية على الدراية والكبيرة، إضافة لما يمتلكه من مواهب وذكاء، والشيخ حسن رغم ارتباطه بوالده العلامة الشيخ باقر واستفادته منه كثيراً فإنه بمرور الوقت اكتسب سماته الشخصية، التي لا تجعله مقلداً بل مبتكراً أساليب وطرق جديدة.

ومن الشواهد على ذلك، كانت بعض القضايا تستمر لسنوات فكان الشيخ يكتشف إن في حكم والده الشيخ باقر، خلل واشتباه، نتيجة لبعض المعطيات الجديدة، فكان يغير الحكم الذي حكم به والده فيقول الخصم المستفيد من الحكم السابق: ولكن والدكم الشيخ باقر حكم هكذا !.

فير عليه الشيخ حسن بهدوء أعصاب: «ذاك شيخ وأنا شيخ».

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٥- فهم المعادلات الاجتماعية:

كان الشيخ حسن ذا خبرة ودراية واسعة بالمعادلات الاجتماعية وفئات وعوائل المجتمع وأعرافهم وتقاليدهم، لذا رغم أن المحكمة هي محل القضاء ومعالجة القضايا، الأسرية والعامة، إلا يرفض حل بعض القضايا في أروقة المحكمة ويفضل حلها سلمياً وبالصلح من خلال كبار الأسرة المعروفين في البلدة، دون أن يسمح لها بالدخول في متاهات ودهاليز القضاء التي قد تستمر شهور وربما لسنوات.

لذا يخرج المتخاصمين ويؤجل حلها إلى الليل بعد أن يواعدهم في بيت كبير الأسرة، ويطلب منهم إخباره إن قهوة الشيخ حسن عندك الليلة.

وهكذا اختصر الزمن في العديد من المسائل الاجتماعية خلال جلسة واحدة يتم فيها الصلح، أو معالجتها داخلياً بعيداً عن الأضواء والأعلام.

٦- انتخاب مندوبين في القرى:

تمكن سماحة العلامة الشيخ حسن خلال خبرته القضائية واتصالاته الاجتماعية بمختلف قرى ومناطق الأحساء من انتخاب عد ممن الممثلين له، وكان يستفيد منهم في تقصي الأخبار ومعرفة المناسبات الاجتماعية في بلدانهم، إضافة لفهم بعض المشكلات القضائية من منابعها الداخلية والمحيطين بها، ومن وجهات نظر متعددة ليخرج بحكم ورؤية واضحة.

وكثير ما كان يفاجئ الخصوم في الموعد القادم بمعرفته بملابسات القضية بمختلف جوانبها، فينصاعون لحكمه وقضائه فيها.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

خاتمة:

إننا أمام شخصية فريدة في التاريخ الأحسائي، تميزت بصفات جميلة ورائعة وجديرة بأن تكون نبراساً وقدوة، خصوصاً تلك الصفات المتعلقة بالتواضع، والكرم، وخدمة المجتمع، وبر الوالدين، والفن في حل المشكلات الاجتماعية التي نحن في أمس الحاجة إلى تكرار نموذج العلامة الشيخ حسن آل أبي خمسين بيننا، خاصة وسط صفوف رجال العلم الذين هم رواد المجتمع وقدوته، والتي ينظر الناس إلى الدين من خلالهم، فإن صلحوا صلح الدين، وإن كسدوا كسد الدين، ونَفَرَ الناسُ منه.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)